من الدراسات القرآنية

دور الوقف في خدمة النص القرآني

بقلم : الدكتور إسماعيل أحمد الطحان
الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث
جامعـة قطـر

مجلة مركز بحوث السنة والسيرة
العدد الثاني - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

استأثرت ظاهرة الوقف باهتمام النحاة والقراء ، وأولى كل فريق منهما ما يخصه من تلك الظاهرة فضلَ اهتمامه ، فتحدث النحاة عنها من حيث الوجوه الجائزة في الكلمة الموقوف عليها ، وطرق أدائها . وشاركهم القراء في ذلك ، وتفردوا دونهم بالحديث عن أقسام الوقف وأنواعه ، ومواضعه في آي القرآن الكريم ، وبيان مذاهب القراء فيه .

والوقف عند القراء فن جليل ، به تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات .

وقد تضافرت لديهم البواعث على تعلمه ، وتعليمه ، فقد نقلوا عن عبد الله ابن عمر - رضى الله عنهما - أنهم - أي الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يُعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده كما يتعلمون القرآن ، ورووا عن علي رضى الله عنه . أنه سئل عن الترتيل في قوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) ٧٣/٤ ، فقال : الترتيل : تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف(١) .

وقال السخاوي (ت ٦٤٣هـ) ينبغي للقاريء أن يتعلم وقف جبريل عليه السلام فإنه كان يقف في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى : (قل صدق الله) ثم يبتديء (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ٣/٩٥ ، والنبي ﷺ يتبعه(٢) .

واشتدت عناية القراء ببيان وقوف القرآن لتكون في خدمة النص القرآني تدفع التوهم المفسد للمعنى ، وتفصل بين متباين المعاني ، وقد تكثّر منها بتغير

مواقعه ، كما قد تعين على توجيه القراءات المختلفة . . وهذا ما سوف تتكفل هذه الدراسة ببيانه ، تحقيقاً ، وتطبيقاً . .

تعريف الوقف :

الوقف لغة : الكف عن الفعل والقول

وفي اصطلاح القراء : قطع الصوت آخر الكلمة زمناً مّا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة . .

وأما (السكت) فدون الوقف زمناً ؛ ولا تنفس معه . ومن ثم قال الأئمة في نعته : سكتة يسيرة ، أو وقفة يسيرة . أو وقفة خفيفة ، أو وقيفة ، أو سكتة لطيفة وما ذاك منهم إلا تأكيد للتفرقة بين الوقف والسكت .

وتقييد (الوقف) بنية استئناف القراءة للتفرقة أيضاً بينه وبين مصطلح ثالث هو (القطع) ويعني عندهم قطع القراءة رأساً - على معنى الانتهاء - والانتقال منها إلى حالة أخرى . .

وليس براجح لدى كثير من أئمة القراء أن الثلاثة بمعنى واحد كما ذهب إليه بعضهم(٣) .

مذاهب القراء فيه :

ومن أئمة القراء من يستحب الوقف في أواسط الآي بمراعاة المعنى وقفاً وابتداء ؛ كالإمام نافع ت ١٦٩هـ وابن عامر ت ١١٨هـ ، أو حيث يتم الكلام كعاصم ت ١٢٧هـ والكسائي ت ١٨٩هـ .

ومنهم من يستحب الوقف فقط على رءوس الآي مطلقاً كأبي عمرو بن العلاء ت ١٥٤هـ .

واختلفت الرواية عن ابن كثير ت ١٢٠هـ فهو يتعمده في أواسط الآي عند ثلاث ، عند قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) ٣/٧ ، (وما يشعركم) ٦/١٠٩ ، (إنما يعلمه بشر) ١٦/١٠٣ ، وفي سوى ذلك قيل كان يراعي الوقف على رءوس الآيات ، وقيل كان يقف مع نَفَسه حيث ينقطع .

وأما حمزة (ت ١٥٦هـ) فالرواية عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس ولا يتعمد وقفاً معيناً(٤) .

واستحسن بعض المتأخرين من مذاهب هؤلاء القراء مذهب أبي عمرو بن العلاء في الوقف على رءوس الآيات اتباعاً لهدي النبي ﷺ وسنته فقد روى أبو داود قال حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، حدثني أبي ، حدثنا ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها - أنها ذكرت - أو كلمة غيرها - قراءة رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) ١/١ ، (الحمد لله رب العالمين) ١/٢ ، (الرحمن الرحيم) ١/٣ ، (ملك يوم الدين) ١/٤ يقطع قراءته آية ، آية .

كما رواه أحمد والترمذي - واللفظ للترمذي : من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول (الحمد لله رب العالمين) ١/٢ ثم يقف ، (الرحمن الرحيم) ١/٣ ثم يقف . وكان يقرؤها (ملك يوم الدين) ١/٤ .

وقالوا هذا أصل معتمد في الوقف على رءوس الآي ، ولا يمنع منه تعلق ما قبل الوقف بما بعده في المعنى .

ورأى آخرون أن هذا الاستحسان ليس على إطلاقه ؛ فإن ارتباط المعنى قد يكون أشد اقتضاء لوصل الكلام دون الوقف على رءوس الآيات كما في قوله تعالى (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون)(٥) ٤ ، ١٠٧/٥ .

ومن ثم اشترط ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) لهذا الوقف ارتضاء الابتداء بما بعده ، وعدم الإخلال بالفهم والمعنى(٦) .

هذا فضلاً عن أن الحديث الذي أوردوه قال فيه المنذري : حديث غريب ، وليس إسناده بمتصل لأن الليث روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مَمْلك عن أم سلمة قال « . . . ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً» . وحديث الليث أصح .

أضف إلى ذلك أن بعض العلماء قد حملوا (الوقف) الوارد في وصف قراءة النبي ﷺ على أن المراد به (السكت) مستأنسين بما حكاه ابن سعدان عن أبي عمرو بن العلاء من أن السكت جائز في رءوس الآيات مطلقاً حالة الوصل لقصد البيان(٧) .

وأما ما ذهب إليه حمزة من أنه لا يعوّل على وقف إلا ما اضطر إليه عند انقطاع نفسه ؛ فليس بشيء ؛ إذ أن وصل الكلام على ما ذهب إليه قد يكون مدعاة إلى الإخلال بالفهم والمعنى ، والعرب أحرص ما تكون عليهما في كلامها شعره ونثره ، فمن ذلك ما يرويه أبو هلال (في الصناعتين) قال معاوية : يا أشدق قم عند قروم العرب وجحاجحها فسلّ لسانك ، وجلّ في ميادين البلاغة ، وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بالٍ ؛ فإني شهدت رسول الله ﷺ أملى على عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه كتاباً وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته .

ويروي أيضاً فيقول : قال الأحنف بن قيس : ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص - رضى الله عنه - كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام وأعطى حق المقام ، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين

تبعيته من الألفاظ(٨) . . .

فإذا كان هذا هو مبلغ حرص العرب على سلامة كلامها ، فكتاب الله تعالى أحق أن يكون تاليه أحكم أداء ، وأدق إفهاماً . وهذا ما نبه إليه أبو جعفر النحاس حيث قال : ينبغي لقاريء القرآن أن يتفهم ما يقرؤه ، ويشغل قلبه بمعناه ، ويتفقد قطعه وائتنافه(٩) .

ولا أحسب حمزة - وهو إمام أهل الكوفة في عصره . أن يتساهل في أداء القرآن الكريم تساهلاً يذهب بالمعنى ويخل بالفهم . وكيف تغيب عنه وقوف النبي ﷺ في قراءته ، وهو القائل عن نفسه : ما قرأت حرفاً إلا بأثر . وإنما المحتمل أن تكون قراءته - وقد كانت على التحقيق والمد الطويل - سبباً في ضيق نَفَسه ، وحائلاً دون بلوغه بها الوقف المعتبر في الاختيار . فغلب عليه وقف الاضطرار واشتهرت الرواية عنه بذلك(١٠) . والوقف عند الاضطرار لا بأس به - أياً كان موضعه من القبح - ولكن على الواقف - كما قال الكواشي - أن يبتديء من أول الكلام حتى ينتهي إلى وقف مرضيّ(١١) .

أنواع الوقف :

ولما كان للوقف أهميته في دقة الإفهام ، واستقامة المعنى ؛ رأينا اهتمام القراء بتفقد مواضعه من آي القرآن الكريم تبعاً للمعنى ، وتعيين أنواعه بحسب التعلق بين جزأي القول . وتفاوتت نظرتهم في ذلك دقة واستقصاء فبلغ به بعضهم ثمانية أنواع هي :

تام ، وشبيه به / ناقص ، وشبيه به / حسن ، وشبيه به / قبيح ، وشبيه به .

ومال بعضهم إلى اختصار هذه الأنواع في ثلاثة هي : التام ، والحسن ، والقبيح .

وكان ابن الجزري أعدلهم عداً لأنواعه على أساس ما بين جزأي القول من تعلق ، فنوعه أربعة أنواع هي :

التام ، والحسن ، والكافي ، والقبيح .

وخلاصة ما انتهت إليه دراستنا حول هذه الأنواع هي أن مواضع الوقف أو الوصل في آي القرآن ثلاثة :

الأول : موضع يوقف عليه ويقبح وصله ؛ لإحالة المعنى أو فساده . وهذا منه (التام) الذي ليس بين جزأيه تعلق لفظي ، ولا معنوي ، كالوقوف على :

- قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم / إن العزة لله جميعا) ١٠/٦٥
- وقوله تعالى (أليس في جهنم مثوى للكافرين / والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ٣٢، ٣٩/٣٣ .
- وقوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار / الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم . .) ٦، ٤٠/٧ .
- وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون / والموتى يبعثهم الله) ٦/٣٦ .

ومنه (الكافي) الذي بين جزأيه تعلق معنوي ، لا لفظي ، كالوقوف على :

- قوله تعالى (وما هم بمؤمنين / يخادعون الله) ٨، ٢/٩ ذلك أنه لو وصل توهم السامع أن الجملة صفة لقوله تعالى (بمؤمنين) وبذلك ينتفى الخداع عنهم ، ويتقرر الإيمان لهم خالصاً عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع(١٢) .
- وقوله تعالى (سبحانه أن يكون له ولد / له ما في السموات والأرض) ٤/١٧١ . ذلك أنه لوصل لأوهم أنه صفة (لولد) وأن المنفى ولد موصوف

بأن له ما في السموات والأرض ، والمراد نفي الولد مطلقاً(١٣) .

- وقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر / تنزل الملائكة والروح فيها . .) ٣، ٤/٩٧ . ذلك أنه لوصل لأوهم أنه صفة (لألف شهر)(١٤) ، وبذلك تكون خيرية ليلة القدر على الألف شهر مقيدة بهذا الوصف ، وهو غير المراد .

- وقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة / وما من إله إلآ إله واحد) ٥/٧٣ . ذلك أنه لو وصل لأوهم أنه من مقولهم الذي كفروا به(١٥) .

ومنه (الحسن) الذي بين جزأيه تعلق لفظي ، لا معنوي كالوقف على :

- قولـه تعـالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه / وتسبحوه بكرة وأصيلا) ٤٨/٩ . ذلك أن لوصل لأوهم عود الضمائر الثلاثة على شيء واحد ، والمراد عود الضميرين الأولين على الرسول ، وعود الأخير على الله تعالى .

- وقوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق / إذ قربا قربانا . .) ٥/٢٧ ؛ ذلك أنه لوصل لتوهم أن العامل في (إذْ) الفعل المتقدم . ونحو ذلك أيضاً :

- قوله تعالى (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى / إذ قالوا لنبي لهم . .) ٢/٢٤٦ .

الثاني : موضع لا يوقف عليه لشدة تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى ، ولا يسوغ فصله لإحالة المعنى أو فساده ، وذلك كالوقف على :

- قوله تعالى (فويل للمصلين^{لا} * الذين هم عن صلاتهم ساهون) ٤، ٥/١٠٧ .

- وقوله تعالى (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين^{لا} * وبالليل أفلا تعقلون) ١٣٧، ١٣٨/٣٧ .

- وقوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم^{لا} لا يبعثِ الله من يموت . .) ١٦/٣٨ .

- وقوله تعالى (إن شجرة الزقوم^{لا} * طعام الأثيم) ٤٣، ٤٤/٤٤ .

- وقوله تعالى (قل إن الأولين والآخرين ۚ ❋ لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) ٤٩، ٥٠/٥٦ .
- وقوله تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ۚ ❋ نسارع لهم في الخيرات . .) ٥٥، ٥٦/٢٣ .

وقد وضع كثير من القراء لهذا النوع ضابطاً يغني عن تتبع مواضعه في آي القرآن الكريم . ومن ذلك ما ذكره أبو بكر محمد بن الأنباري ت ٣٢٨هـ في (إيضاحه)(١٦) من كراهة الوقف بين الفصائل النحوية المزدوجة فلا يصح عنده الوقف على المضاف دون المضاف إليه كقوله تعالى (صبغة/ الله) ٢/١٣٨ ، ولا على المنعوت دون نعته كقوله تعالى (إلى صراط العزيز الحميد / الله) ١، ٢/١٤ ، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف كقوله تعالى (وسخر لكم الليل / والنهار) ١٦/١٢ ، ولا على المبدل منه دون المبدل كقوله تعالى (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين / الله . .) ١٢٥، ١٢٦/٣٧ ، ولا على الشرط دون جزائه كقوله تعالى (وإن يأت الأحزاب / يودوا . .) ٢٠/٣٣ ولا على القسم دون جوابه كقوله تعالى (والنجم إذا هوى / ما ضل صاحبكم . .) ١، ٢/٥٣ ، ولا على القول دون المقول كقوله تعالى (وقالت اليهود / عزير ابن الله) ٣٠/٩ ولا على المبتدأ دون خبره كقوله تعالى (وبالآخرة هم / يوقنون) ٤/٢ ، ولا على الفعل دون فاعله كقوله تعالى (أعجب الكفار / نباته) ٢٠/٥٧ . وما إلى ذلك من الفصائل المزدوجة كالحال ، والتمييز ، والاستثناء والموصول . .

وعلى ذلك فلا يلتفت إلى ما قد يتعسفه بعض المبتدعين في تأويل المعاني بما يقتضي وقفاً أو ابتداء ، مخالفين ما أجمع عليه الثقات من القراء والمفسرين ؛ كتعسف الوقف على (وارحمنا أنت) والابتداء (مولانا فانصرنا) ٢٨٦/٢ على معنى النداء ، وكذلك الوقف (يابني لا تشرك) والابتداء (بالله إن الشرك لظلم عظيم)

٣١/١٣ على معنى القسم ، وأشد قبحاً من ذلك كله ما حكاه ابن الجزري من قول بعضهم في (عينا فيها تسمى سلسبيلا) ٧٦/١٨ أن الوقف على (تسمى) أي عينا مسماة معروفة ، والابتداء (سل سبيلا) على الأمر أي سل طريقاً موصلة إليها ، وبطلان ذلك غير خاف للإجماع على أنها كلمة واحدة(١٧) .

الثالث : موضع يستوي فيه الوقف وعدمه ؛ لاستقامة المعنى على أي منهما ، وذلك كثير في آي القرآن ومن ذلك قوله تعالى : (وما أنزل من قبلك / وبالآخرة هم يوقنون) ٢/٤ ، فواو العطف تقتضي عدم الوقف ، وتقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف ؛ فإن التقدير يوقنون بالآخرة ، وقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم / وعلى أبصارهم غشاوة) ٢/٧ ، فإنْ وقف فعلى قول الأخفش والفراء أن معنى الختم قد انقطع ثم استأنف فقال (وعلى أبصارهم غشاوة) لأن الختم لا يقع على العيون . وإن وصل فعلى قول غيرهما أن الواو للعطف على ما قبله أي ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم بغشاوة ؛ فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إليه فانتصب كقول الشاعر :

تمرون الديار فلم تعوجوا كلا مكمو عليّ إذًا حرام

أي تمرون بالديار(١٨) . وقوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة / فلا يخفف عنهم العذاب . .) ٢/٨٦ فالفاء تقتضي التسبب والجزاء ؛ وذلك يسوغ الوصل ، وكون نظم الفعل على الاستئناف ، يسوغ الفصل(١٩) .

وربما خفي على العامة من الناس إدراك مثل هذه الملاحظ ، فلا بأس إذًا أن يقرءوا وصلاً أو وقفاً(٢٠) ما تجنبوا الإخلال بالمعنى ؛ وهو الأكثر مراعاة عند الأكثرين من قارئي القرآن الكريم ؛ كما في قوله تعالى : (يا حسرة على العباد / ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) ٣٦/٣٠ . وقوله تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم / إن زلزلة الساعة شيء عظيم) ٢٢/١ .

وقف المراقبة

غير أنه - والحالة هذه - قد يعرض في الكلام مقطعان يتضادان وقفاً ؛ بمعنى أنه لا يجوز الوقف عليهما معاً ، فإن وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر ؛ رعاية للمعنى . وهو ما يعرف في اصطلاح القراء (بوقف المراقبة) وذلك كما في قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب / فيه / هدى للمتقين) ٢/٢ . فمن وقف على (لا ريب) لا يجوز له أن يقف على (فيه) ، ومن وقف على (فيه) لا يجوز له أن يقف على (لا ريب) .

- وفي قوله تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة / ومن الذين أشركوا / يود أحدهم لو يعمر ألف سنة . .) ٢/٩٦ .
- وفي قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب / كما علمه الله / فليكتب . .) ٢/٢٨٢ .
- وفي قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله / والراسخون في العلم / يقولون آمنا به . .) ٣/٧ .
- وفي قوله تعالى (قال فإنها محرمة عليهم / أربعين سنة / يتيهون في الأرض) ٥/٢٦ .
- وفي قوله تعالى (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم / ومن الذين هادوا / سماعون للكذب . .)٥/٤١ .
- وفي قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى / شهدنا / أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) ٧/١٧٢ .

- وفي قوله تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون / ومن أهل المدينة / مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم . .) ٩/١٠١ .
- وفي قولـه تعـالى تعالى (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما / بآياتنا / أنتما ومن اتبعكما الغالبون) ٢٨/٣٥ .
- وفي قوله تعالى (يانساء النبي لستن كأحد من النساء / إن اتقيتن / فلا تخضعن بالقول . .) ٣٣/٣٢ .
- وفي قوله تعالى (. . فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعد وإمّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها / ذلك / ولو يشاء الله لانتصر منهم . .) ٤٧/٤ .

في هذا كله نجد الكلم المحصور بين الوقفين لا يستقل بمعنى ، ولا يستقيم إلا إذا اتصل بما قبله أو بما بعده على خيار من القاريء فيما يأخذ به من مذاهب القراء وأهل التأويل .

ولا يمنعنا هذا الخيار من أن نشير إلى ما استحسنه بعض أهل التأويل ؛ من الوقفين :

- ففي قوله تعالى من سورة البقرة (ذلك الكتاب لا ريب / فيه / هدى للمتقين) قال أحمد بن جعفر : إن الوقف على (لا ريب) خطأ ؛ لأن الكتاب لا عائد له في صلته وصفته ومستحيل أن تخلوا الصلة والصفة من عائد على الموصول والموصوف . واستدل لرأيه هذا بقوله تعالى في سورة السجدة (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) من أن الوقف على (ريب) في هذه الآية ممنوع اتفاقاً ، ومن ثم فلا يصح في آية البقرة ؛ لأن من شرط صحة الوقف ، صحة الوقف على نظير ذلك الموضع .

ورد ابن الأنباري ذلك القول وعده من صاحبه تقحماً ، وتعسفاً شديداً ؛ لأن جماعة من أهل النحور ترتضى مذاهبهم لم يذهبوا إلى أن (الكتاب) خلا من

عائد حيث إنهم أضمروا خبر (لا النافية) لوضوح معناه ، ولو ظهر في اللفظ لقيل : لا ريب فيه ، فيه هدى للمتقين) والخبر المضمر يحمل الضمير العائد على الكتاب ، ولا يستنكرون إضمار خبر (لا) في حال نصب الاسم ولا رفعه ، بل هو وجه صحيح في العربية غير بعيد في القياس(٢١) .

- وفي قوله تعالى من سورة البقرة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة / ومن الذين أشركوا / يود أحدهم . .) .

مال ابن الأنباري والأشموني مع عامة المفسرين إلى الوقف على (أشركوا) على معنى أن اليهود أحرص الناس ، وأحرص من الذين أشركوا - يعني المجوس - على حياة أيّ حياة ، وخُص المجوسُ بالذكر لأن تحيتهم لملوكهم (زه هزار سال) . أي عش ألف سنة .

ولم يذهب إلى الوقف على (حياة) سوى نافع وهو عنده وقف تام ، وما بعده جملة مستأنفة من مبتدأ مقدر ، خبره (ومن الذين أشركوا) على معنى ومن الذين أشركوا - يعني المجوس - قوم يود أحدهم لو يعمر ألف سنة(٢٢) .

- وفي قوله تعالى من سورة البقرة (ولا يأب كاتب أن يكتب / كما علمه الله / فليكتب . .) . اختار عامة المفسرين الوقف على (كما علمه الله) وقال الأشموني : ومن وقف على (أن يكتب) ثم يبتديء (كما علمه الله فليكتب) فقد تعسف التأويل(٢٣) .

- وفي قوله تعالى من سورة آل عمران (وما يعلم تأويله إلاّ الله / والراسخون في العلم / يقولون آمنا به . .) نقل الأشموني أن الوقف على (إلا الله) وقف السلف وهو أسلم ، والوقف على (في العلم) وقف الخلف . ونقل رواية ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ وقف على (إلا الله) وتابعه عليه جمع من الصحابة كابن مسعود ، وأبيّ ففي مصحف ابن مسعود : إنْ تأويله إلا عند

الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به . وفي مصحف أبيّ : ويقول الراسخون في العلم آمنا به .

وقال ابن الأنباري : وهو قول أكثر أهل العلم .

وذهب مجاهد فيما يرويه عنه ابن جريج إلى أن (الراسخون) مرفوع بالعطف على لفظ الجلالة ، وجملة (يقولون آمنا به) حال من الراسخين ، كأنه قال : قائلين آمنا به(٢٤) .

وإلى هذا الرأي ذهب مفسرو الشيعة وقالوا : لو لم يكن الراسخون في العلم يعلمون ؛ لكان مستحيلاً منهم أن يقولوا (آمنا به) ، والإيمان معناه التصديق - وهم بزعم أهل الخلاف لم يعلموا فيصدقوا ، فكيف يجوز تصديق المرء بما لم يعلم(٢٥) .

- وفي قوله تعالى من سورة المائدة (فإنها محرمة عليهم / أربعين سنة / يتيهون في الأرض) . قال النحاة يجوز نصب (أربعين) بمحرمة فتكون ظرفاً للتحريم والوقف على (سنة) ويجوز نصبها بيتيهون فتكون ظرفاً للتيه ، والتحريم مؤبد والوقف على (عليهم) .

وعن يحيى بن نصير النحوي أنه قال : إن كان اليهود قد دخلوا الأرض المقدسة بعد الأربعين فالوقف على (سنة) وإن لم يكونوا قد دخلوها بعد الأربعين فالوقف على (عليهم) .

ونقل الأشموني رواية عن ابن عباس أن التحريم والتيه أربعين سنة(٢٦) .

- وفي قوله تعالى من سورة المائدة (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم / ومن الذين هادوا / سماعون للكذب . .) . وقف أبو عمرو بن العلاء على (قلوبهم) و (سماعون) مبتدأ وما قبله خبر ، أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب ، أي يسمعون

ليكذبوا ، والمسموع حق . ووقف غيره على (هادوا) ، (سماعون) خبر لمبدأ محذوف تقديره : هم سماعون ، راجعا إلى الفئتين .

وقال الأشموني : والأول أجود ؛ لأن التحريف محكى عنهم ، وهو مختص باليهود لا بالمنافقين(٢٧) .

- وفي قوله تعالى من سورة الأعراف (ألست بربكم قالوا بلى / شهدنا / أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) . اختلف أهل التأويل في قوله (شهدنا) أهي من كلام الملائكة على معنى أن الذرية قالوا بلى أنت ربنا ، ثم قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فقالت الملائكة (شهدنا) وحينئذ تكون (بلى) آخر قصة الميثاق فاصلة بين السؤال والجواب ، والوقف عليها تام . أم أن (شهدنا) من كلام الذرية على معنى أنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك ؛ وحينئذ فلا وقف على (بلى) لتعلق ما بعدها بما قبلها لفظا ومعنى ، وإنما الوقف على (شهدنا) ، وقوله (أن تقولوا) متعلق بمحذوف . أي فعلنا ذلك لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

واختار الوقف على (شهدنا) أبو حاتم السجستاني ، ومشى عليه الزمخشري في (كشافه) .

وغلّط أبو بكر بن الأنباري أبا حاتم السجستاني في هذا ، وقال لا يوقف على (بلى) ولا على (شهدنا) لتعلق (أن تقولوا) بقوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم) فالكلام متصل بعضه ببعض ، وتمامه على قوله تعالى (ولعلهم يرجعون)(٢٨) .

- وفي قوله تعالى من سورة التوبة (وممن حولكم من الأعراب منافقون / ومن أهل المدينة / مردوا على النفاق) . قال الزمخشري : (وممن حولكم) خبر مقدم (من الأعراب) لبيان الجنس ، (منافقون) مبتدأ مؤخر وهم : جهينة ، وأسلم ، وأشجع ، وغفار ؛ وكانوا نازلين حول المدينة . والوقف على (منافقون) كاف

إن جعلنا (ومن أهل المدينة) خبرا مقدماً ، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه ، والتقدير : ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق ، وهو وصف خاص بمنافقي أهل المدينة . وليس بوقف إن جعلنا (مردوا) جملة في موضع النعت لقوله (منافقون) أي وممن حولكم من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، عطفاً على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ، منافقون (مردوا على النفاق) . راجعا إلى الفئتين(٢٩) .

- وفي قوله تعالى من سورة القصص (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما / بآياتنا / أنتما ومن اتبعكما الغالبون) . نقل الزركشي عن الشيخ عز الدين قوله : الأحسن الوقف على (إليكما) ؛ لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ، لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ولم تمنع عنهم فرعون .

وقال الأشموني : ولكن تعلق الآيات بيصلون هو المشهور قراءة ، والأصح عربية ؛ لأن تعلقها (بالغالبون) يجعلها داخلة في الصلة وهذا غير سديد لأن النحاة يمنعون التفريق بين الصلة والموصول ، لأن الصلة تمام الاسم .

وأجاز أبو حيان الوقف على (إليكما) والابتداء (بآياتنا) على أن (الباء) للقسم أي بحق آياتنا ، والجواب محذوف تقديره (لتغلبن) .

وعلقها آخرون بمحذوف تقديره : إذهبا بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون(٣٠) .

- وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب (يانساء النبي لستن كأحد من النساء / إن اتقيتن / فلا تخضعن بالقول . .) .

قال أهل التأويل : يا نساء النبي أنتن أفضل وأشرف من غيركن فليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء (إن اتقيتن) . قال ابن عباس : فشرط

عليهن التقوى لبيان أن فضلهن بالتقوى لا بنفس اتصالهن برسول الله ﷺ ، وعليها الوقف ، واختاره جمهور المفسرين(٣١) .

- وفي قوله تعالى من سورة محمد (. . فشدوا الوثائق فإما مناً بعد وإما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها / ذلك / ولو يشاء الله لانتصر منهم . .) معظم أهل التأويل يختارون الوقف على (ذلك) لتعلقه بها قبله فهو بيان وإيضاح لمعنى قوله فإذا لقيتم الذين كفروا ووقع الإثخانوتمكنتم من أخذ من لم يقتل فشدوا وثاقه ولكم الخيار في أن تمنوا عليه بالإطلاق دون مقابل ، أو أن تأخذوا منه فدية ؛ (ذلك) أي الأمر ذلك كما فعلنا وقلنا ، فهو خبر لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ محذوف الخبر - أي ذلك كذلك . ثم يبتديء (ولو يشاء الله لانتصر منهم) .

ولا يعدم بعض أهل التأويل تأويل المعنى على نحو آخر بالوقف على (أوزارها) والابتداء (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي ذلك ما كلفكم الله به من جهاد الكفار - مع أنه قادر على الانتصار منهم وإهلاكهم بقدرته - ليختبر إيمانكم وثباتكم(٣٢) .

- دور الوقف في خدمة النص القرآني :

لا خلاف بين القراء وأهل التأويل على أن مراعاة وقوف القرآن من أعون الوسائل على تدبر آياته وفهم معانيه ؛ ذلك أن للقرآن أسلوبا فريداً في نظم آياته ؛ فقد يورد آيات قصاراً منقطعات لفظاً ، متصلات معنى ، كما يورد آيات طوالاً منقطعات معنى ، متصلات لفظاً ، فمن قرأ على ظاهر النظم فربما تحول فواصل الآيات القصار ، كما يحول تداخل المعاني في الآيات الطوال بينه وبين المعنى المراد من النص القرآني فيُسيء فهمه ؛ لذلك اشتدت عناية المتأخرين من

القراء ببيان وقوف القرآن ؛ لتكون في خدمة النص القرآني ؛ تدفع التوهم المفسد للمعنى عن متداخل النظم ، وتفصل بين متباين المعاني ، وقد تكثّر منها بتغير مواقعه ، كما قد تعين على توجيه القراءات المختلفة .

ولعل ما نعرضه من نماذج الآيات يؤكد هذه الحقيقة ويشهد بما للوقوف القرآنية من أهمية بالغة في تدبر آيات القرآن ، وفهم معانيه .

أولاً : الوقف لدفع التوهم :

- في قوله تعالى (وما هم بمؤمنين / يخادعون الله) ٨، ٩، /٢ قد يوهم تداخل النظم أن جملة (يخادعون الله) داخلة في حيز النفي ؛ فينتفى الخداع عنهم ، ويتقرر الإيمان لهم خالصاً عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع ، والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان ، لذلك لزم الوقف على (بمؤمنين)(٣٣) .
- وفي قوله تعالى (سبحانه أن يكون له ولد / له ما في السموات وما في الأرض)١٧١/٤ ، قد يوهم تداخل النظم أن ما بعد (ولد) وصف له ، فيكون المنفي ولداً موصوفاً بهذا ، والمراد نفي الولد مطلقا لذلك لزم الوقف على (ولد)(٣٤) .
- وفي قوله تعالى (قال لا تثريب عليكم / اليوم يغفر الله لكم) ١٢/٩٢ قال بعض المفسرين : إن تداخل النظم قد يوهم أن (اليوم) ظرف للتثريب ، وليس كذلك ؛ لأن تعلقه بالتثريب يجعل إسم (لا) عاملاً في الظرف فيكون حينئذ شبيهاً بالمضاف فيجب نصبه وتنوينه ، والقراءة في (لا تثريب عليكم) بالبناء على الفتح ؛ لذا وجب تعلق الظرف بالفعل (يغفر) ، ولزم الوقف على (عليكم)(٣٥) .

ولكن هذا الرأي ليس براجح عند عامة المفسرين ، فقد قال أبو حيان : وأما أن يكون اليوم متعلقاً (بيغفر) فمقول ، وقد وقف بعض القراء على (عليكم) وابتدأ (اليوم يغفر الله لكم) ، ثم ذكر أن ابن عطية رجح الوقف على (اليوم) ؛ لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله - اللهم إلا أن يكون ذلك بوحي - . . ثم ذكر أبو حيان من أقوال النحاة ما يدفع به إشكال تعلق اليوم بالتثريب فقال : وأجاز الحوفي أن يكون (عليكم) في موضع صفة لتثريب ويكون الخبر (اليوم) وهو وجه حسن ، ولو قيل إن الخبر محذوف تقديره : لا تثريب يثرب عليكم اليوم ؛ لكان وجهاً قوياً ، لأن خبر (لا) إذا علم كثر حذفه عند الحجازيين ، ولم يلفظ به بنو تميم(٣٦) .

- وفي قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم / وعلم أن فيكم ضعفاً) ٦٦/٨ ، قد يوهم تداخل النظم أن (الآن) ظرف للتخفيف والعلم ، وبذلك فإن الله إنما يستفيد العلم بالشيء عند كونه وحدوثه ، كما يستفيده الناس ، وهو ما توهمه ابن الراوندي ، وقد ردّ وهمه أبو الحسين الخياط فقال : إن (الآن) وقعت على التخفيف وحده ، والعلم بالضعف متقدم ، ونظيره قول القائل : اليوم أصير إلى فلان ، وأعلم أنه لا ينصفني ، فمصيره إليه حدث في اليوم وعلمه به متقدم كأنه قال : أصير إليه وأنا أعلم بأنه لا ينصفني(٣٧) .
- وفي قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة / إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة . .) ١٠١ ، ١٠٢/٤ .

أجمع المفسرون على أن الخوف ليس شرطاً في قصر صلاة المسافر ، وإنما اختلفوا في توجيه الشرط المذكور في الآية فقيل إن سبب النزول يبين أن الشرط مفصول عما قبله بالوقف على (من الصلاة) لئلا يوهم تداخل النظم أنه شرط في

قصر الصلاة قبله ؛ فقد أخرج ابن جرير من حديث على رضى الله عنه ، قال : سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله إنّا نضرب في الأرض فكيف نصلي ؟ فأنزل الله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) . ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بعام غزا النبي - ﷺ - فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، هلّا شددتم عليهم ، فقال قائل منهم : إن لهم صلاة أخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله بين صلاة الظهر والعصر (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) إلى قوله تعالى (عذابا مهينا) فنزلت صلاة الخوف . قال ابن جرير : هذا تأويل في الآية حسن ؛ لو لم يكن في الآية (إذا) .

قال ابن الفرس : ويصح مع (إذا) على جعل الواو زائدة فيكون - كما قال السيوطي - من اعتراض الشرط على الشرط . وأحسن منه أن تجعل (إذا) زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها(٣٨) .

وقال الأشموني : بل افتتح صلاة الخوف بقوله تعالى : (إن خفتم) على إضمار (الواو) أي - وإن خفتم -(٣٩) . كما أضمر في قوله تعالى (وكأي من نبي قُتل معه ربيون كثير) على قراءة من قرأ (قتل) مبنياً للمفعول بإسناد القتل للنبي فقط عملاً بما أشيع يوم أحد (ألا إن محمدا قد قتل) فالقتل واقع على النبي فقط ، كأنه قال : كم من نبي قتل / معه ربيون كثير ؛ بإضمار الواو ، أي - ومعه ربيون كثير - كما تقول : جئت مع زيد ، أي - ومعي زيد(٤٠) - .

وقيل في توجيه الشرط أيضاً : هو لبيان الواقع حيث كانت أسفارهم لا تخلو من خوف العدو لكثرة المشركين ، وأُيِّد هذا القول بحديث (يعلى بن أمية) قال : قلت لعمر رضى الله عنه : إن الله يقول (إن خفتم) وقد أمن الناس ؛ فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : (صدقة تصدق

الله بها عليكم فاقبلوا صدقتـه)(٤١) . وعلى هذا فلا بأس أن يقف على قوله (الذين كفروا) .

- وفي قولـه تعالى (وهو الله / في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)٦/٣ .

ذهـب بعض أهل التأويل إلى أن الوقف على (الله) لئلا يوهم تداخل النظم أن في السموات وفي الأرض ظرف لاسم الجلالة ، وإنما الظرف متعلق (بيعلم) أي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ، والآية من المقدم والمؤخر نظير قوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيماً) - أي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجا . وهو مذهب ابن عباس رضى الله عنه(٤٢) .

ثانياً : الوقف للفصل بين متباين المعاني :

- في قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا / سبحانه بل له ما في السموات والأرض) ٢/١١٦ . يفصل الوقف على (ولد) بين قول اليهود والنصارى : اتخذ الله ولداً ، وبين قول الله : (سبحانه) تنزيهاً له عما نسبوه إليه .
- وفي قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا / بل يداه مبسوطتان) ٥/٦٤ يفصل الوقف على (بما قالوا) بين قول اليهود : يد الله مغلولة وبين رد الله عليهم (بل يداه مبسوطتان) .
- وفي قولـه تعـالى (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم / فماذا تأمرون)٧/١١٠ ذهب معظم أهل التأويل إلى الوقف على (أرضكم) فصلاً بين كلام الملأ ، وكلام فرعون (فماذا تأمرون) ؟ ويؤيده ما جاء من جوابهم له (قالوا أرجه وأخاه . . .) .

- وفي قولـه تعـالى (. . . فلما آتـوه موثقهم ، قال / الله على ما نقول وكيل) ١٢/٦٦ . ذهب كثير من المحققين إلى الوقف على (قال) فصلاً بين جملتين أولاهما : قال هو - أي يعقوب عليه السلام ، وأخراهما : الله على ما نقول وكيل - جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول . ولما كان الوقف هنا فاصلاً بين القول والمقول وهو مما يكرهه القراء - رأى السجاوندي الأحسن في مثل هذا أن يفرق بينهما بقوة الصوت ، إشارة إلى أن (الله) مبتدأ بعد القول ، وليس فاعلاً(٤٣) . . .

- وفي قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر / لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهـذا لسـان عربي مبين) ١٦/١٠٣ . ذهب كثير من أهل التأويل إلى الوقف على (بشر) فصلاً بين قولين : أولهما : قول قريش : إنما يعلمـه بشر ، وثانيهما : (لسان الذي يلحدون . .) ردٌّ الله تعالى على قول قريش وهي كما قال الزمخشري : جملة مستأنفة لا محل لها . .

وذهب بعض المعربين إلى أنها حال من فاعل يقولون أي يقولون ذلك والحالة هذه أي علمهم بأعجمية هذا البشر ، وعربية هذا القرآن ؛ كانت تمنعهم من تلك المقالة(٤٤) ، والأول أجود معنى وأداء .

- وفي قولـه تعـالى (ووهبنـا له إسحاق / ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين) ٢١/٧٢ . يقف نافع على (إسحاق) على أن (نافلة) - وهي الزيادة - يراد بها يعقوب خاصة فكأن إبراهيم سأل واحداً ، فأعطى اثنين ، وهذا مذهب ابن عباس وقتادة ، وابن زيد ، والفراء . وحسنه ابن الأنباري ، ومال إليه الزمخشري فجعل النافلة ولد الولد ؛ ويكون الكلام من عطف جملة على جملة .

وقـد يصـل الكلام من ذهب أن النافلة بمعنى العطية والمراد بها إسحاق

ويعقوب ، وهو مذهب مجاهد ، وعطاء ويكون الكلام من عطف مفرد على مفرد(٤٥) .

- وفي قوله تعالى (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين / به سامرا تهجرون) ٦٦، ٢٣/٦٧ . اتفق أهل التأويل على أن الضمير في (به) إما راجع إلى البيت العتيق ، وهو كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر والمعنى ، أو راجع إلى القرآن المدلول عليه بالآيات وإنما اختلفوا في تعلق الجار والمجرور ؛ فذهب بعضهم إلى تعليقه بمستكبرين - والضمير للبيت - على معنى : أنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت الحرام لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم ، وبهذا قال ابن عباس وغيره . وذهب آخرون إلى تعليقه بمستكبرين - والضمير للقرآن - على معنى : تحدث لكم تلاوته عليكم استكبارا ؛ وبهذا قال الزجاج ، والوقف على كلا التأويلين عند (تنكصون) .

ورأى آخرون من أهل التأويل أن التعلق بمستكبرين فيه بُعدٌ وإغراب ، وأن تعلق الجار والمجرور بما بعده (سامراً تهجرون) فيه صرف للكلام إلى ما يصلح له أياً كانت كناية الضمير ، فإذا كان للبيت ، كان المعنى : تسمرون بالبيت تلهون بالباطل ، وتهجرون كتاب الله ونبيه في وقت سمركم . وإذا كان الضمير للقرآن ، كان المعنى : تسمرون بالقرآن - أي تتخذونه مادة سمركم - فتهجرونه - أي تصفونه بالهُجر من الكلام - أي من الفاحش منه - فتقولون : إنه سحر ، أو شعر ، أو كهانة ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة . ومال إلى هذا التأويل القرطبي ، وابن كثير والنسقي(٤٦) . والوقف على هذا عند قوله (مستكبرين) ثم يبتديء (به سامرا تهجرون) للفصل بين حالين مختلفين . .

- وفي قوله تعالى : (. . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني / وكان الشيطان

للإنسان خذولا) ٢٥/٢٩ . ذهب عامة أهل التأويل إلى الوقف على (جاءني) فصلاً بين كلام الظالم ، وكلام الله (وكان الشيطان للإنسان خذولا) تعقيباً عليه .

وذكر الأشموني جواز اتصاله على أنه من كلام الظالم بدءاً من قوله (ياليتني اتخذت) إلى قوله (خذولا) . وحمل الكلام على التأويل الأول أولى لما فيه من إيلام التبكيت ولذع التوبيخ .

- وفي قوله تعالى : (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة / وكذلك يفعلون) ٢٧/٣٤ . ذهب الفراء والزجاج وتابعهما كثير من أهل التأويل إلى الوقف على (أذلة) فصلاً بين كلام ملكة سبأ ، وبين تعقيب الله تعالى بقوله : (وكذلك يفعلون) على ما قالت . وحكى الماوردي اتصال الكلام والوقف عند (يفعلون) وهو من تمام كلام بلقيس(٤٧) .
- وفي قوله تعالى : (فآمن له لوط / وقال إني مهاجر إلى ربي) ٢٩/٢٦ . أجمع أهل التأويل على الوقف على (لوط) فصلاً بين حكايتين أولاهما إيمان لوط ، وأخراهما هجرة إبراهيم عليه السلام في قوله : وقال أي إبراهيم إني مهاجر إلى رضى ربي ، أو إلى حيث أمرني ربي . .
- وفي قوله تعالى : (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا / هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ٣٦/٥٢ . ذهب جمهور المفسرين إلى الوقف على (مرقدنا) فصلاً بين كلامين أولهما كلام الكفار عند بعثهم من قبورهم ، وثانيهما رد الملائكة أو المؤمنين عليهم بأن (هذا ما وعد الرحمن) به من بعثكم بعد موتكم وصدق المرسلون في الإخبار به عن الله عز وجل .

وما عداه - مما ذكره ابن الأنباري من جواز الوقف على (هذا) والابتداء (ما وعد الرحمن) على معنى : بعثكم وعد الرحمن - تكلف في التأويل

لا يؤبه له(٤٨) .

- وفي قوله تعالى : (. . . وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه / وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) ٤/٦٦ .

اختلف أهل التأويل على الوقف في هذه الآية فذهب نافع ويعقوب إلى الوقف على (مولاه) يريدان أن مولى النبي ﷺ هو الله تعالى فحسب كقوله : نعم المولى ونعم النصير ، ثم يفصلان على استئناف معنى جديد هو أن جبريل ومن بعده مبتدأ خبره (ظهير) .

ويذهب آخرون إلى الوقف على (صالح المومنين) عطفاً على لفظ الجلالة أي إن الله هو مولاه ، وكذلك جبريل وصالح المؤمنين أولياؤه في العون والنصرة ، والملائكة - على الاستئناف - ظهير له من بعد ذلك(٤٩) .

- وفي قوله تعالى : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء / بناها) ٢٧/٧٩ .

ذهب بعض أهل التأويل إلى الوقف على (السماء) فصلاً بين أمرين أولهما : سؤال المشركين - بقصد التوبيخ . والتقريع - أخلقكم بعد الموت أشد عندكم ، أم السماء في تقديركم ؟ وهما في قدرة الله واحد . وثانيهما : تفسير أمر السماء (بناها رفع سمكها فسواها . .) - أي رفعها عالية محكمة البناء مستوية الأرجاء(٥٠) .

ثالثاً : الوقف وتكثير المعنى :

- في قوله تعالى : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) ٣/١١٣ .

يجوز في الآية الوقف عند (سواءً) فيكون المعنى : ليس المؤمنون من أهل الكتاب والفاسقون سواء ، وهذان قد جرى ذكرهما قبلا في قوله تعالى : (ولو آمن

أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) . ٣/١١ . وما بعد سواء جملة مستأنفة (أمة قائمة) مبتدأ ، والخبر من أهل الكتاب .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (يسجدون) فتكون أمة مرفوعة بليس ، وسواء خبر ؛ فيستجد معنى آخر هو : ليست تستوي من أهل الكتاب أمة مستقيمة على أمر الله وأخرى عاصية معتدية ؛ وأضمر الأخرى لما دل عليها من قوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)(٥١) . ٣/١١٢ .

- وفي قوله تعالى : (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) ٣/١٩٥ .

يجوز الوقف في الآية عند (بعض) على معنى : لا أضيع عمل بعضكم من بعض ذكورا وإناثا ، نظير قوله تعالى : (والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض) ٤/٢٥ - أي بإيمان بعضكم من بعض .

أو على معنى : لا أضيع عمل عامل منكم ذكراً كان أو أنثى فبعضكم من بعض ، أي الذكور من الإناث ، والإناث من الذكور .

ويجوز أن ينتقل الوقف إلى (أنثى) ويبتديء (بعضكم من بعض) ، فيضيف نقل الوقف معنى آخر للنص وهو : كلكم متساوون مجتمعون في عدل الله ، آمنون من أن يحيف عليكم(٥٢) .

- وفي قوله تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا . .) ٦/١٥١ .

يجوز الوقف عند (عليكم) وتتعلق بحرم وهو اختيار البصريين ، أو تتعلق بأتل وهو اختيار الكوفيين ، فهو من باب التنازع ، والمعنى : أتل الذي حرمه ربكم عليكم ، أو أتل عليكم الذي حرمه ربكم هو (ألا تشركوا به شيئا) بمعنى حرم أن تشركوا به شيئا وأن ناصبة ، و (لا) زائدة .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (ربكم) والابتداء (عليكم ألا تشركوا . .) فيضيف معنى جديداً وهو : الزموا نفي الإشراك . . والأسلوب للإغراء(٥٣) .

- وفي قوله تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . .) ٦/١٥٥ .

يجوز أن يتصل الكلام بدون وقف ، ومعناه : وهذا القرآن أنزلناه بهذا الوصف العظيم كراهة أن تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من كتاب فنتبعه ، فقد جاءكم ما يقطع عذركم .

ويجوز الوقف على (فاتبعوه) ، والابتداء (واتقوا) فينشيء الوقف معنى جديداً وهو : واتقوا - أي احذروا أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا(٥٤) .

- وفي قوله تعالى : (آلمص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) ١-٧/٣ .

يجوز أن يتصل الكلام بدون وقف ، ومعناه : هذا كتاب أنزله الله إليك يا محمد فلا يضق صدرك من تبليغه خوفاً من تكذيب قومك ؛ لتنذر به ولتذكر المؤمنين وفي هذا المعنى يتعلق الإنذار بالإنزال .

ويجوز الوقف عند (إليك) على أن (كتاب) خبر لمبتدأ محذوف أي هو كتاب ، و (أنزل إليك) جملة في محل رفع صفة لكتاب ، ثم يبتديء (فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به) فينشيء الوقف معنى جديداً بتعلق الإنذار بنفي الحرج - أي الشك - المنهي عنه في الآية ؛ لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم ، وإذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار ؛ لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه ، متكل على عصمته(٥٥) .

- وفي قوله تعالى : (وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقاً هدى

وفريقاً حق عليهم الضلالة) ٢٩ ، ٧/٣٠ .

يجوز الوقف عند (تعودون) على معنى : كما بدأكم من الأرض تعودون إليها ، أو كما قال الزمخشري : كما أنشأكم ابتداء بقدرته كذلك يعيدكم ؛ ليجازيكم بأعمالكم فأخلصوا له العبادة .

ثم قال وأنتم فريقان : هدى فريقاً منكم ، وأضل فريقاً وهو الفعال لما يريد .

ويجوز الوقف عند (الدين) وانتصاب كلمتي (فريقاً) حالين من الضمير في (تعودون) - أي تعودون فريقاً مهدياً وفريقاً حاقاً عليهم الضلالة ؛ ويدل لهذا التفسير ما جاء في مصحف أبيّ : كما بدأكم تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة(٥٦) .

- وفي قوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) ٧/٤٦ .

يجوز الوقف عند (سلام عليكم) ثم يبتديء (لم يدخلوها وهم يطمعون) كأن سائلاً سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل : دخلوها وهم لا يطمعون في دخولها ، على نقل النفي من الدخول إلى الطمع ، كما تقول في الكلام : ما كلمت عبد الله وعند أحد ، فمعناه : كلمت عبد الله وليس عنده أحد .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (لم يدخلوها) فيحتمل النص معنى آخر وهو : لم يدخلوها لأنهم محبوسون ، ثم يبتديء (وهم يطمعون) في دخولها لم ييأسوا ، وإلى هذا ذهب الزمخشري(٥٧) .

- وفي قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ٨/٣٣ .

جرى معظم أهل التأويل مع ما ذهب إليه الضحاك من أن الضمير في

(ليعذبهم) للكفار ، والضمير في (معذبهم) للمؤمنين ، وعلى هذا المذهب يكون الوقف في الآية عند (وأنت فيهم) ومعناه : وما كان الله ليعذبهم - أي كفار مكة - وأنت بين أظهرهم إكراماً لك يا محمد ، وهذا أمان الكفار ، ثم ابتدأ قوله (وما كان الله معذبهم) أي معذب المؤمنين (وهم يستغفرون) وهذا الاستغفار أمان المؤمنين وهو - على ما قال ابن عباس - باق فيهم إلى يوم القيامة .

وقد يتصل الكلام وينتقل الوقف إلى آخر الآية عند قوله (وهم يستغفرون) على أن الضميرين في الكلمتين للكفار فيستجد معنى آخر وهو أن سنة الله قد جرت من قبل ألا يعذب أمة قط ونبيها فيها ، وإن كانوا مستحقين للعذاب إكراماً لنبيها ، وقد عامل أهل مكة بمقتضى هذه السنة ، وما كان معذبهم أيضاً وهم يستغفرون وحمل الاستغفار على أنه استغفار من بقى من المسلمين بين أظهرهم في مكة من المستضعفين ، وهو أحد قولي الزمخشري في تفسير الآية . وأما قوله الثاني فقد نفى الاستغفار عن الكفار ؛ على أن المعنى : لو كانوا ممن يؤمنون ويستغفرون لما عذبهم ، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون نظير قوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)(٥٨) .

- وفي قوله تعالى : (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) ٨/٦٤ .

يجوز الوقف عند (حسبك الله) ونصب ما بعده بفعل مضمر كأنك قلت : يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين ، وقال السجستاني : الجملة في محل رفع على الاستئناف وتأويلها : ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله .

ويجوز أن ينتقل الوقف إلى آخر الآية فيستجد معنى آخر وهو : كفاك الله ، وكفاك أتباعك من المؤمنين وإليه ذهب مجاهد ، والحسن البصري ، واختاره السيوطي ، وذكر الزمخشري القولين في كشافه(٥٩) .

- وفي قوله تعالى : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . .) ١٣/٢ .

يجوز الوقف عند (السموات) ثم يبتديء (بغير عمد ترونها) - أي ترون السماء بلا عمد قاله صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن ، وقتادة ، والجمهور عليه ، ومال إليه الطبري فقال (ترونها) تأكيد لنفي ذلك أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها ؛ وهذا هو الأكمل في القدرة ، ويبين هذا المعنى الوقف عند (عمد) ثم يستأنف ترونها كذلك .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (ترونها) فيستجد معنى آخر وهو : الله الذي رفع السموات بعمد ، لا ترون تلك العمد ، ويكون معنى النفي قد انتقل من العمد إلى الرؤية وهذا مذهب عطاء والضحاك عن ابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وهو أيضاً مذهب أبيّ فيما ذكره الزمخشري عن مصحفه : (بغير عمد ترونه)(٦٠) .

- وفي قوله تعالى : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) ١٨/٦٣ .

يجوز الوقف عند (عجبا) على أنه ثاني مفعولي اتخذ ومعناه : واتخذ الحوت سبيله في البحر يرى عجبا ويحدث عجبا .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (واتخذ سبيله في البحر) ثم يبتديء (عجبا) فيستجد معنى آخر وهو : أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله : في البحر ، فقال موسى عليه السلام (عجبا) . أي أعجب لسير الحوت في البحر ، وعودة الحياة إليه لقد كان مشوياً مأكولاً بعضه ، ويكون انتصاب (عجبا) على المصدرية(٦١) .

- وفي قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) ٢٥/٣٢ .

يجوز الوقف عند (جملة واحدة) وهو نهاية كلام المشركين ، ومضمونه : لم نزل عليه القرآن متفرقاً ، ولم ينزل جملة واحدة . فقال الله عز وجل رداً على

اعتراضهم (كذلك) - أي أنزلناه كذلك متفرقاً لنثبت به فؤادك .

ويجوز أن ينتقل الوقف إلى (كذلك) على أنها من كلام المشركين ؛ فيستجد معنى آخر وهو : قال المشركون هلا نزل عليه القرآن جملةواحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة ، فيكون كغيره من الكتب السابقة ، ثم يبدأ الرد عليهم (لنثبت به فؤادك) - أي خالفنا به ما سبق من الكتب ؛ وأنزلناه عليك مفرقاً لنثبت به فؤادك . ونقوي به قلبك(٦٢) .

- وفي قوله تعالى : (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ٣٠/٤٧ .

يجوز الوقف عند (أجرموا) ثم يبتديء (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ومعناه : وكان نصر المؤمنين حقاً علينا .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند (وكان حقاً) ثم يبتديء (علينا نصر المؤمنين) فيستجد معنى آخر وهو : فانتقمنا من الذين أجرموا وكان انتقامنا منهم حقاً ، ثم يقول : إن علينا أن ننصر المؤمنين بالإنتقام من أعدائهم وهم الذين أجرموا . واستحسن أبو حاتم الوجه الأول لسببين أحدهما : أنه لا يحتاج معه إلى تقدير اسم كان وهو انتقامنا ، وثانيهما : من جهة المعنى وذلك أن الوقف على (حقاً) يوجب الانتقام ولوجب نصر المؤمنين(٦٣) .

- وفي قوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ٣٥/١٠ .

يجوز الوقف عند قوله (الطيب) ثم يبتديء (والعمل الصالح يرفعه) ومعناه : والعمل الصالح يرفعه الله تعالى أي يقبله وهو قول قتادة .

ويجوز أن ينتقل الوقف إلى (يرفعه) فيستجد معنى آخر وهو أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وابن جبير ، ومجاهد ، والضحاك وكان الحسن يقول : يعرض القول على الفعل فإن وافق

القول الفعلُ قبل وإن خالف ردّ . أو أن العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب وهو عكس السابق ، وبه قال أبو صالح وشهر بن حوشب(٦٤) .

- وفي قوله تعالى : (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى . .) ٥، ٦، ٧/٥٣ .

يجوز الوقف عند قوله (فاستوى) ثم يبتديء (وهو بالأفق الأعلى) ومعناه : علمه القرآن ملك شديد قواه ذو حصافة في العقل ، هو جبريل عليه السلام ، وقد استوى - أي استقر على صورته الحقيقية وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق ، وهو قول الزجاج وتابعه عليه كثير من أهل التأويل .

ويجوز أن ينتقل الوقف عند قوله (ذو مرة) ثم يبتديء (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) فيستجد معنى آخر وهو : فاستوى هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد بالأفق الأعلى أي استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء ، قاله الفراء وتابعه ابن جرير وابن الأنباري ، وأنكره ابن كثير(٦٥) . .

رابعاً : الوقف وتوجيه القراءات :

ذهب الأجلاء من العلماء إلى أن اختلاف وجوه المعاني باختلاف القراءات ضرب من ضروب إعجاز القرآن الكريم ؛ ذلك أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات ، فدل بإيجاز ألفاظه ، واتساع دلالاته على إعجاز بيانه ، وإحكام نظمه ، وافتنان تعبيره .

غير أن ما يقتضيه توجيه القراءات من وجوه المعاني قد لا يستقيم إلا بوصل الكلام أو قطعه في موضع معين ؛ الأمر الذي يجعل من الوقف أعون وسيلة على بيان تلك المعاني . ولعل فيما نعرضه من نماذج القراءات ما يوضح مدى الارتباط بين الوقف وتوجيه المعنى .

- في قوله تعالى : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . .) ٢/١٢٥ .

- قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي (واتخِذوا) بكسر الخاء على الأمر ؛ وهذه القراءة تقتضي الوقف عند قوله (أمنا) والابتداء بالأمر (واتخذوا) .

- وقرأ نافع ، وابن عامر (واتخذوا) بفتح الخاء على الخبر ووجهه أنه معطوف على ما قبله كأنه قال : وإذ جعلنا وإذ اتخذوا ، ويؤكد الفتح أن ما بعده إخبار وهو قوله (وعهدنا) وهذه تقتضي الوقف عند قوله (مصلى) ، ولا يستقيم توجيه أي من القراءتين إلا مع وقفه(٦٦) . .

- وفي قوله تعالى : (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العقاب) ٢/١٦٥ .

- قرأ أبو عمرو ، وابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي (ولو يرى . .) بالياء ومعناه : لو يرون عذاب الآخرة لعلموا أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العقاب ، وهذا المعنى يقتضي الوقف على آخر الآية .

- وقرأ نافع ، وابن عامر ، ويعقوب (ولو ترى . .) بالتاء وفتح (أنّ) فيهما ، والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع الناس ، وجواب (لو) محذوف تقديره لرأيتم أمراً فظيعاً ، وحذفه أبلغ في التهويل لذهاب المتوعَّد إلى كل ضرب من الوعيد .

- وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ولو يرى) بالياء ، وكسر (إنّ) فيهما على الاستئناف .

- وروى إسماعيل عن الحسن (ولو ترى) بالتاء ، وكسر (إن) فيهما ، على الاستئناف أيضاً ، ويقتضي هؤلاء جميعاً الوقف عند (العذاب) لبيان المعنى

المراد(٦٧) .

- وفي قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى) ٢/١٩٦ .

- قرأ جمهور القراء (والعمرةَ) بالنصب بإيقاع الفعل المتقدم عليها عطفا على الحج ، وتلك القراءة تدل على وجوبها ، وهو مذهب علي ، وابن عمر ، وابن عباس ، والحسن ، وغيرهم ، وهذا يقتضي الوقف على (لله) لتمام المعنى المراد .

- وقرأ الأصمعي عن نافع ، والقزاز عن أبي عمرو ، والكسائي عن أبي جعفر (والعمرةُ) بالرفع ، وتلك القراءة تدل على أن العمرة سنة وتطوع وهو مذهب ابن مسعود وبه أخذ أبو حنيفة ومالك ؛ وتقتضي هذه القراءة الوقف على (الحج) ؛ لأن ما بعده استئناف من مبتدأ وخبر(٦٨) .

- وفي قوله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال في الحج) ٢/١٩٧ .

- قرأ شيبة ، ونافع ، وعاصم ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج) بنصب الثلاثة بلا تنوين ، وقراءة هؤلاء بالفتح أشد مطابقة للمعنى المقصود ؛ وهو نفي جميع الرفث والفسوق والجدال . والوقف على (الحج) لتمام الكلام .

- وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) بالرفع والتنوين ، على النفي لواحد لفظاً ، والمراد بالمعنى الجميع . (ولا جدالَ في الحج) بالنصب على معنى : ولا شك في الحج أنه واجب في ذي الحجة فقد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه ، وإلى هذا المعنى ذهب السدى عن أشياخه ، والقاسم ابن محمد ، وهذه القراءة تقتضي أن يكون الوقف عند (ولا فسوقٌ) ليستقيم

المعنى مع هذا التوجيه(٦٩) .

- وفي قولـه تعـالى : (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) ٣/٣٦ .

- قرأ الأسود ، ويحيى بن وثاب ، وأبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحمـزة ، والكسائي (بما وضعتْ) بسكون التاء قال ابن قتيبة : وفي الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : إني وضعتها أنثى ، وليس الذكر كالأنثى - وهذا من كلام أم مريم - (والله أعلم بما وضعت) من كلام الله تعالى إخباراً عنها . ويقتضي هذا التوجيه أن يكون الوقف عند (إني وضعتها أنثى) للفصل بين حكايتين .

- وقرأ ابن عامر ، وعاصم -إلا حفصاً-، ويعقوب (والله أعلم بما وضعتُ) بضم التاء للمتكلم ، ويقتضي هذا أن يكون الوقف عند (وضعتُ) لأن الكلام قبله متصل كله ، وهو من حكاية أم مريم .

وقال أهل التأويل (وليس الذكر كالأنثى) صالح لأن يكون من كلام الله تعالى ، أو من حكاية أم مريم(٧٠) .

- وفي قوله تعالى : (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) ٣/١٤٦ .

- قرأ أبو جعفر ، وشيبة ، وعاصم ، والأعمش ، وحمزة والكسائي (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا . .) .

على معنى : كم من نبي قاتل ، وقاتل معه ربيون كثير - أي جموع كثيرة - فقتل منهم من قتل فما جبنوا ولا خارت عزائمهم ، ولا ذلوا لعدوهم بما أصاب منهم . . ويقتضي هذا وصل الكلام . ولا وقف إلا عند قوله تعالى : (وما استكانوا) .

- وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وأبان ، والمفضل (وكأين من نبي قُتِلَ معه ربيون كثير. .) وهذه القراءة على معنيين أحدهما أن يكون القتل للنبي وحده ، فما وهن الربيون بعد قتله ، والأبين لهذا المعنى أن يكون الوقف عند (وكأين من نبي قتل) ثم يبتديء (معه ربيون كثير فما وهنوا) . والمعنى الثاني : أن يكون القتل للربيين - والمراد بعضهم - فما وهن الباقون لمن قتل منهم ، والكلام متصل ، والوقف عند (وما استكانوا) على نحو ما تقدم في القراءة المشهورة(٧١) .

- وفي قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة) ٦/٧٤ .

- قرأ الجمهور (آزر) بالفتح مجروراً على البدل من أبيه ، غير مصروف ، وتقتضي هذه القراءة منع الوقف على (لأبيه) لما يترتب عليه من قطع البدل عن المبدل منه .

- وقرأ الحسن ، ويعقوب (آزرُ) بالرفع ، على وجهين : إما على البدل من أبيه أيضاً ، كقولك : مررت بزيد أخوك ، قال ابن الأنباري عن أبي العباس هو جائز على معنى هو أخوك ، ولا يصلح الوقف على أبيه لما سبق . والوجه الثاني الرفع على النداء : وإذ قال إبراهيم لأبيه ، ياآزرُ ، ويقتضي هذا أن يكون الوقف على (لأبيه) حسناً ثم يبتديء يا آزر ، وهي في مصحف أبيّ : يا آزر اتخذت آلهة(٧٢) . .

- وفي قوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) ٦/١٠٩ .

- قرأ أبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، وحفص عن عاصم ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي (وما يشعركم أنها إذا جاءت) بفتح همزة (أنها) ، ومضمون الآية أن الكفار أقسموا لئن جاءهم ما اقترحوه من الآيات ليؤمن ، وطمع المؤمنون

في إيمانهم ، فتمنوا مجيء تلك الآية لهم ، فقال الله عز وجل مخاطباً المؤمنين : ومـا يشعـركم - أي وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . وكان مقتضي الإنكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندين ، فاعتقدوا أنهم يؤمنون عنـد نزول الآية ، أن يقـال لهم : ومـا يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون ، بإسقاط (لا) ، ولكي يستقيم الرد مع مضمون الآية حمل بعض أهل التأويل (لا) على أنهازائدة ، كقوله تعالى (وما منعك أن لا تسجد إذْ أمرتك) ذكره الفراء . ورده الزجاج واختار تأويل (أنّ) بمعنى لعل ، والمعنى : وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، ويؤيده ما جاء في مصحف أبيّ : (لعلها إذا جاءت لا يؤمنون) . وفي كلام العرب : ما أدري أنك صاحبها ، - أي ما أدري لعلك صاحبها .

وأما الزمخشري ففهم للآية مضموناً آخر لا يقتضي حذف (لا) ولا تأويل (أنها) بلعلّها ؛ وهو أن الآية وردت عذراً للمؤمنين في عدم علمهم بالمغيّب في علم الله تعالى من عدم إيمان هؤلاء ، فقال للمؤمنين : وما يدريكم ما علمته أنا من أنهم لا يؤمنـون إذا جاءتهم ؛ وبهـذا يستقيم دخـول (لا) . ويقتضي هذا التأويل عدم الوقف على (يشعركم) في قراءة من فتح (أنها) .

- وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم ، وخلف في اختياره (وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بكسرة همزة (إنها) على معنى : وما يدريكم ما يكون منهم .

وهذا تمام الكلام ، ثم ابتدأ الله الإخبار عن حالهم فقال : إنها إذا جاءت لا يؤمنون ألبتة . وهذه القراءة تقتضي الوقف عند (وما يشعركم) ليستقيم المعنى مع هذا التوجيه(٧٣) .

- وفي قوله تعالى : (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) ١١/٤٦ .

- قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة (إنه عملٌ غير صالح) برفع وتنوين (عملٌ) ورفع (غيرُ) ومعناه على قولين : أحدهما أن يرجع الضمير إلى سؤال نوح فيكون المعنى : إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح ، والوقف في هذه القراءة عند (أهلك) لتمام الكلام ، وانقطاعه عما بعده لاختلاف الضميرين في الآية على هذا التأويل .

وثانيهما : أن يرجع الضمير إلى (الإبن) ومعناه على تقدير مضاف - أي إنه ذو عمل غير صالح ، كما تقول العرب : عبد الله إقبال وإدبار - أي صاحب إقبال وإدبار . ويقتضي هذا التأويل وصل الكلام دون وقف على (أهلك) لكون (إنه عمل غير صالح) تعليلاً لانتفاء أنه من أهله .

- وقرأ ابن عباس ، وعروة ، وعكرمة ، والكسائي (إنه عَمِل غيرَ صالح) أي (عَمِل) عملاً (غير صالح) ، يشيرون إلى إشراكه بالله . وهذه القراءة تلتقي في المعنى مع الوجه الثاني من القراءة الأولى ، وهما سواء في عدم الوقف على (أهلك) للعلة السابقة(٧٤) .

- وفي قوله تعالى : (وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) ١١/٧١ .

- قرأ ابن عامر ، وحمزة ، وحفص عن عاصم (يعقوبَ) بالنصب حملاً على المعنى - أي وهبنا لها إسحق ، ووهبنا لها يعقوب ، واختيار الوقف في هذه القراءة على (يعقوب) .

- وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم (يعقوبُ) بالرفع مبتدأ وشبه الجملة قبله خبر ، وهذه القراءة تقتضي أن يكون

الوقف عند (إسحق) ثم يبتديء (ومن وراء إسحق يعقوب)(٧٥) .

- وفي قوله تعالي : (وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ١٤/٣٤ .
- قرأ الجمهور (وآتاكم من كل ما سألتموه) بالإضافة والمعنى - كما قال الزمخشري - وآتاكم بعض جميع ما سألتموه نظراً في مصالحكم ، وتمام الوقف على هذه القراءة عند (سألتموه) .
- وقرأ ابن مسعود ، وأبو رزين ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، وأبان عن عاصم ، وأبو حاتم عن يعقوب (من كلٍ ما سألتموه) بتنوين (كلٍ) من غير إضافة قال قتادة والضحاك : ومعناه : وآتاكم من كلٍ ما لم تسألوه . وقريب منه تأويل الزمخشري : أي وآتاكم من جميع ذلك غير سائليه ؛ بإعراب الجملة المنفية على الحال .

وحكى ابن الأنباري عن أبي العباس معناه : وآتاكم من كلٍ لم تسألوه ، وذلك أننا لم نسأل شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه . والوقف في هذه القراءة عند (كلٍ) حسن ، ثم يبتديء (ما سألتموه) - أي لم تسألوه(٧٦) .

- وفي قوله تعالى : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) ١٩/٣٤ .
- قرأ عاصم ، وابن عامر ، ويعقوب (قولَ الحق) بنصب اللام ، قال الزجاج ومعناه : أقول قولَ الحق ، وقال الزمخشري : النصب على المدح إن فسر بكلمة الله ، والوقف في هذه القراءة عند (ابن مريم) .
- وقرأ باقي السبعة (قولُ الحق) بالرفع . قال الزمخشري : على أنه خبر بعد خبر ، أو بدل ، وقال غيره : نعت لعيسى ، ويقتضي هذا التأويل امتناع الوقف عند (ابن مريم) لصلة ما بعده به على الخبرية أو البدلية ، أو

الوصفية ، ويجوز من وجوه الرفع أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : ذلك قولُ الحق ، أو ذلك الكلام قول الحق ، أو هو قول الحق ، وهذا التأويل يقتضي أن يكون الوقف عند (ابن مريم) لانقطاعه عما بعده(٧٧) .

- وفي قوله تعالى : (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم) ٢٥/٤٧ .
- قرأ السبعة - إلا أبا عمرو (وأَمْلَى لهم) بفتح الهمزة واللام عطفاً على ما قبله على معنى : أن الشيطان زين لهم ذلك الأمر وغرهم وخدعهم بالأمل وطول الأجل . والوقف لتمام المعنى على آخر الآية .
- وقرأ أبو عمرو ، وشيبة (وأُمْلِيَ لهم) بضم الهمزة وفتح الياء ماض لم يسم فاعله .
- وروى عن مجاهد (وأملي لهم) بضم الهمزة وسكون الياء مضارع مبنى للفاعل ، والإملاء في كلتا القراءتين مسند إلى الله تعالى لقوله : (فأمليت للكافرين) وتقتضي هذه القراءة الوقف على (سول لهم) والابتداء (وأُمْلى لهم) ليفصل بين التسويل وهو من الشيطان ، وبين الإملاء وهو من الله ؛ ليستقيم المعنى على هذا التوجيه(٧٨) .
- وفي قوله تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا يُنزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) ١٧-٢٣/٥٦ .
- قرأ ابن كثير ، وعاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر (وحورٌ عينٌ) بالرفع فيهما ، ويقف هؤلاء على (يشتهون) ثم يبتدئون (وحور عين) أي وعندهم حور عين ، وكأنهم كرهوا الخفض لأنه معطوف على قوله (يطوف عليهم) والحور ليس مما يطاف به .

- وقرأ أبو جعفر ، وحمزة ، والكسائي ، والمفضل عن عاصم (وحورٍ عين) بالخفض فيهما ، قال الزجاج : وليس خفضهما على ما في معنى (يطوف) وإنما على معنى ينعمون أي يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بها ، وكذلك ينعمون بلحم طير ، وكذلك ينعمون بحور عين . ومن هذا الوجه لا يحسن الوقف على (يشتهون) لا تصال الكلام بعضه ببعض(٧٩) .

الحـــواشي

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/٢٢٥ .

(٢) انظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا : للأشموني / ٥ .

(٣) راجع النشر ١/٢٣٨ - ٢٤٠ ، ومنار الهدى / ٥ .

(٤) راجع النشر ١/٢٣٨ ، الإتقان للسيوطي ١/٢٤٣ .

(٥) ومثله مما اصطلح عليه في رسم المصحف بوضع علامة (لا) فوق رأس بعض الآيات . (٦) راجع النشر ١/٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٧) النشر ١/٢٤٣ ، وانظر مختصر سنن الترمذي مجلد ٦/١٢ ط دار المعرفة .

(٨) انظر كتاب (الصناعتين) : لأبي هلال العسكري / ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٩) انظر (القطع والائتناف) لأبي جعفر النحاس ، وراجع كتاب إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري ١/٢٥ تحقيق د. محيي الدين رمضان .

(١٠) انظر النشر ١/٢٣٨ .

(١١) انظر منار الهدى / ٦ .

(١٢) الإتقان ١/٢٣٤ .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) راجع النشر ١/٢٣٣ .

(١٥) المرجع السابق .

(١٦) الإيضاح لابن الأنباري ١/١١٦ - ١٤٩ .

(١٧) انظر النشر ١/٢٣١ ، ١٣٢ .

(١٨) انظر منار الهدى / ١٨ .

(١٩) انظر الإتقان ١/٢٣٥ .

(٢٠) مصطلحه في رسم المصحف . (ج) رمز الجواز وصلاً أو وقفا .

(٢١) انظر منار الهدى / ١٧ ، وإيضاح الوقف ١/٤٨٨ .

(٢٢) الإيضاح ١/٥٢٤ ، ٥٢٥ . ومنا رالهدى /٢٦ .

(٢٣) انظر منار الهدى / ٤٠ .

(٢٤) انظر منار الهدى / ٤٢ ، والإيضاح لابن الأنباري ٢/٥٦٦ .

(٢٥) انظر ظاهرة الإعراب في القرآن : د. أحمد ياقوت / ٢٠٥ نقلاً عن مصدره .

(٢٦) منار الهدى / ٧٣ ، والإيضاح ٢/٦١٦ .

(٢٧) منار الهدى / ٧٤ .

(٢٨) الإيضاح ٢/٦٦٩ ، منار الهدى / ٩٥ ، الكشاف ٢/١٢٩ .

(٢٩) انظر الكشاف ٢/٢١١ .

(٣٠) انظر البرهان للزركشي ١/٣٤٦ ، ومنار الهدى / ١٨٥ .

(٣١) انظر القرطبي ١٤/١٧٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٧٨ .

(٣٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/١٧٣ ، ١٧٤ ط دار المعرفة ، ومنار الهدى / ٢٣٠.

(٣٣) انظر الإتقان ١/٢٣٤ .

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) منار الهدى / ١٢٣ .

(٣٦) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٥/٣٤٣ ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب تحقيق ياسين السواس ١/٤٣٨ .

(٣٧) انظر ظاهرة الإعراب . د. ياقوت /١٩٦ نقلاً عن مصدره .

(٣٨) انظر الإتقان ١/٢٥٣ ، ٢٥٤ ، وقارن بالطبري ٩/١٢٧ .

(٣٩) راجع منار الهدى / ٦٥ .

(٤٠) منار الهدى / ٥٥ .

(٤١) رواه مسلم وأهل السنن : راجع ابن كثير ١/٥٤٤ ط دار المعرفة .

(٤٢) انظر منار الهدى / ٧٩ وقارن بالبرهان ١/٣٤٧ .

(٤٣) انظر منار الهدى / ١٢٢ .

(٤٤) انظر الكشاف ٢/٤٢٩ ، البحر المحيط لأبي حيان ٥/٥٣٧ .

(٤٥) انظر زاد المسير ٥/٣٦٨ ، والكشاف ٢/٥٧٨ ، والإيضاح ٢/٧٧٦ ومنار الهدى / ١٥٩ .

(٤٦) راجع : زاد المسير ٥/٤٨٢ ، الإيضاح لابن الأنباري ٢/٧٩٢ ، تفسير ابن كثير ٣/٢٤٩ ط دار المعرفة .

(٤٧) انظر زاد المسير ٦/١٦٩ والإيضاح ٢/٨١٧ مع الهامش .

(٤٨) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧٤ ط دار المعرفة ، والإيضاح لابن الأنباري ٢/٨٥٤ .

(٤٩) انظر منار الهدى / ٢٥٢ ، وزاد المسير ٨/٣١٠ .

(٥٠) انظر زاد المسير ٩/٢٢ ، والإيضاح ٢/٩٦٥ .

(٥١) راجع زاد المسير ١/٤٤١ ، الإيضاح ٢/٥٨٢ ، منار الهدى / ٥٢ .

(٥٢) راجع الإيضاح ٢/٥٩٠ .

(٥٣) راجع منار الهدى / ٨٧ .

(٥٤) راجع زاد المسير ٣/١٥٥ ، الإيضاح ٢/٦٤٧ .

(٥٥) راجع الكشاف ٢/٦٦ .

(٥٦) انظر الكشاف ٢/٧٦ ، الإيضاح ٢/٦٥٤ ، المنار / ٨٩ .

(٥٧) انظر الكشاف ٢/٨١ ، الإيضاح ٢/٦٥٥ .

(٥٨) راجع الكشاف ٢/١٥٦ ، الإيضاح ٢/٦٨٤ .

(٥٩) انظر الكشاف ٢/١٦٧ ، الإيضاح ٢/٦٨٧ ، منار الهدى / ١٠٠ .

(٦٠) انظر الكشاف ٣٤٩/٢ ، زاد المسير ٣٠١/٤ .

(٦١) راجع زاد المسير ١٦٦/٥ ، الإيضاح ٧٥٩/٢ .

(٦٢) انظر الإيضاح ٨٠٥/٢ ، منار الهدى / ١٧٤ .

(٦٣) راجع الإيضاح ٨٣٤/٢ ، منار الهدى / ١٩٢ .

(٦٤) انظر زاد المسير ٤٧٨/٦ ؛ الإيضاح ٨٤٨/٢ .

(٦٥) انظر زاد المسير ٦٤/٨ ، الإيضاح ٩١٠/٢ .

(٦٦) الإيضاح ٥٣٢/١ ، زاد المسير ١٤٢/١ .

(٦٧) زاد المسير ١٧٠/١ ، الإيضاح ٥٤٠/١ .

(٦٨) زاد المسير ٢٠٤/١ ، الإيضاح ٥٤٥/١ .

(٦٩) انظر زاد المسير ٢١٠/١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، والإيضاح ٥٤٥/١ .

(٧٠) انظر زاد المسير ٣٧٧/١ ، الإيضاح ٥٧٥/٢ ، منار الهدى / ٤٦ .

(٧١) انظر زاد المسير ٤٧١/١ ، الإيضاح ٥٨٥/٢ .

(٧٢) انظر زاد المسير ٧١/٣ ، الإيضاح ٦٣٧/٢ .

(٧٣) انظر الكشاف ٤٤/٢ مع الهامش ، وزاد المسير ١٠٤/٣ ، الإيضاح ٦٤٢/٢ .

(٧٤) راجع الكشاف ٢٧٣/٢ ، زاد المسير ١١٤/٤ ، الإيضاح ٧١٣/٢ .

(٧٥) زاد المسير ١٣٢/٤ ، الإيضاح ٧١٥/٢ .

(٧٦) الكشاف ٣٧٩/٢ ، زاد المسير ٣٦٥/٤ ، الإيضاح ٧٤٢/٢ .

(٧٧) انظر الكشاف ٥٠٩/٢ ، زاد المسير ٢٣١/٥ ، الإيضاح ٧٦٣/٢ .

(٧٨) البرهان للزركشي ٣٤٨/١ ، الإيضاح ٨٩٨/٢ ، منار الهدى / ٢٣٠ .

(٧٩) انظر زاد المسير ١٣٧/٨ ، الإيضاح ٩٢١/٢ .

المراجع الأساسية
مرتبة حسب ورودها في البحث

١ - النشر في القراءات العشر : لابن الجزري
٢ - منار الهدى في الوقف والابتدا : للأشموني
٣ - الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي
٤ - إيضاح الوقف والابتداء : لأبي بكر بن الأنباري
تحقيق د. محيي الدين رمضان
٥ - ظاهرة الإعراب في القرآن : للدكتور أحمد ياقوت
٦ - تفسير الكشاف : للزمخشري
٧ - البرهان في علوم القرآن : للزركشي
٨ - تفسير زاد المسير : لابن الجوزي
٩ - تفسير ابن كثير : لابن كثير
١٠ - تفسير البحر المحيط : لأبي حيان
١١ - كتاب مشكل إعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي